

## لماذا يشكل السعوديون العمود الفقري للحركات المتشددة المسلحة؟

■ **حميدي العبدالله**

معروف أنّ العمود الفقري لكلِّ الحركات المتشدّدة التي قاالت في أفغانستان والشيشان وكوسوفو والبوسنة ولاحقا في العراق وفي سورية وفي ليبيا تحت راية تنظيمات القاعدة المختلفة هم من حملة الجنسية السعودية.

التفسير السائد لكثافة هذه المشاركة يركّز عادةً على عاملين أساسيين، كان فعلاً لهما تأثير كبير في صنع هذه الظاهرة. العامل الأول، المذهب الوهابي الذي تعتمد المملكة السعودية، وتعاليم هذا المذهب تكفّر المذاهب الإسلامية الأخرى سنّية أو شيعية أو أيّ مذهبٍ آخر، كما أنها تتخذ مواقف متشدّدة من الديانات الأخرى تصل إلى حدِّ اعتماد حرب الإبادة ضدّ أتباع هذه الديانات.

العامل الثاني، توظيف حكومة المملكة الشباب المتطرف من أتباع المذهب الوهابي في حروب الخارج تحت تأثير دوافع متعددة، أبرزها خدمة السياسات والاستراتيجيات الغربية، وتحديدا الأميركية، والتخلص من خطر تحوّل هؤلاء الشباب إلى معارضة قد تطيح بالنظام الملكي السعودي أو تسهم في خلق وضع مضطرب وغير مستقر في ضوء تجربة الهجوم الذي قاده جهيمان العتيبي في عام 1979 في مكة المكرمة.

لكن ثمة عاملاً آخر هو الذي يفسّر أكثر من غيره ميل الشباب السعودي نحو التطرف والانخراط في الجماعات والحركات المسلحة وممارسة العنف بكل أشكاله، ولا سيما ذلك الشكل الذي يتناقى مع أيّ قيم إنسانيّة وأخلاقية، وعادة ما تغفل هذا العامل الكثير من المقاربات والتحليلات التي عادةً ما يعتمدها محللون وكتاب عرب، ويكمن هذا العامل في البعد الاجتماعي، أيّ مستوى الفقر في المملكة العربية السعودية، لأنّ الانطباع السائد أنّ المملكة بما لديها من ثروات نفطية لا وجود للفقر فيها ولا يشكل البعد الاجتماعي عنصراً في تحليل الظواهر التي تطفو على السطح السياسي في أكبر دولة في جزيرة العرب.

لكن الواقع الموضوعية تشير إلى عكس ذلك، وتؤكد أنّ جذور ميول التطرف لدى الشباب في المملكة العربية السعودية تكمن في البعد الاجتماعي، وفي هذا السياق يلحظ الخبراء والدارسون لشؤون المملكة وجود بعدين، الأول يتمثّل في معدل الزيادة السكانية، والثاني بمستوى الدخل لدى عامة المواطنين. فقد ارتفع عدد سكان المملكة من 3.5 مليون نسمة في عام 1950 إلى 21.7 مليون نسمة عام 2002. ويتوقع الخبراء أنّ يصل عدد سكان المملكة إلى (40) مليون نسمة في عام 2025 وهذا النمو السريع في عدد السكان يشير، تبعاً للإحصائيات ذاتها، إلى أنّ المجتمع في المملكة فقيراً إذ أنّ 75% من السكان كانوا دون سنّ الثلاثين من العمر في عام 2002. كما أنّ مستوى دخل عامة المواطنين متدنٍّ للغاية، فقد هبط مستوى الدخل من 28.600 دولار في السنة عام 1981 إلى 6.800 دولار عام 2001. ويديهي أنّ هذا التراجم في مستوى الدخل وارتفاع معدل البطالة في صفوف الشباب والمتقنين الجامعيين التي وصلت إلى 30%، يديهي أنّ يؤذي ذلك إلى بروز ظواهر مثل مظالم التشدّد وميل الشباب الانضمام إلى الحركات والقوى التي تتبنى أساليب العنف والإرهاب، فالعامل الاجتماعي، إضافة إلى التحصن المذهبي والديني، وسعي الحكومة لتصدير غضب الشباب نحو الخارج، جميعها عوامل تفسّر مجتمعة هذه الظاهرة، وليس فقط العوامل التي عادة ما يركّز عليها الباحثون والمحللون.

## أستراليا: بداية التحوّل

■ **روزانا رمّال**

على طريقة احتجاز رهائن لبنانيين وسوريين وعراقيين في الشرق الاوسط احتجزت «داعش»، او ما يعادلهاء، رهائن استراليين في مقهى استرالي شهير «ليندت» في سيدني. إذا كان وقع احتجاز الرهائن العرب لدى الغرب أمراً عادياً فإنّ احتجاز الأجانب الاستراليين اليوم لم يكن وقعه عادياً أبداً على الرأي العام الدولي عامة والاسترالي بشكل خاص، إنّ كان في الشكل والألوسب الجديد، أو في الهدف والاستهداف والوظيفة السياسية التي اكد المسؤولون الاستراليون عليها.

وبالنظر إلى هذه الوظيفة الإستراتيجية فإنّ وجود الجماعات المتطرفة في استراليا وغيرها من الدول الأوروبية سهل جداً، ولا حتى أسلوب الخطف المنسجم مع باقي ممارسات الجماعات في الشرق الأوسط.

لطالما عمدت الجماعات الإرهابية إلى اختطاف أو احتجاز رهائن من مدنيين عزل أو عسكريين في الفترة الاخيرة في معظم المناطق التي حلت فيها، أبرزها في سورية والعراق و لبنان وغيرها، وذلك للضغط على حكومات تلك الدول بطريقه أو بأخرى، وإذا كانت لدى هذه المجموعات مطالب توّد الحصول عليها من تلك الحكومات في الشرق الأوسط، فإنها تريد المطالب نفسها من غيرها، وهي تتعلق بمجملها برفع اليد أو القيود أو الحصر عن الإرهابيين وعدم الوقوف في وجه مشروعهم.

لا يمكن قراءة الضغط على استراليا في الأشهر الماضية من قبل الراهابيين القابعين فيها سوى قراءة سياسية وعسكرية بحثة، وإذا كان هناك ما يدفع الاصوليين لاستهداف مقرات استرالية أو كندية أو اوربية فهي من دون شك تدرج في سياق الضغط على حكومات الدول لتخفيف مشاربته الإرهابيين وعدم عرقلة مشروعهم في الشرق الاوسط كسياسة مستحذة، بعدما كان الغرب اول من مهد الطريق لنمو المجموعات هذه وانتشارها واستخدامها في عمليات خاصه دولياً.

يبدو أنّ النشاط العسكري للحلّاف الدولي ضدّ «داعش» في كل من العراق و سورية يشكل نوعاً من الضغط على اش مشروع دولة «داعش» وما يعادلهاء في المنطقه، وانه من غير المستبعد ان ترتد مشاركة كل دولة من الدول المشاركة في سبلا على أرضها القومى والداخلي، وعليه تتوقع استراليا و اي دولة مشاركة في التحالف الدولي مسبقاً ان تتعرض لهجمات ارهابية مسلحة واعتداءات مسلحة جراء الانضمام الى اعمال التحالف الدولي العسكرية. إلا أنّ استراليا وبريطانيا بشكل خاص تعتبران من أكبر الدول التي تضمّ اسلاميين متطرفين وتعرّفان انهما تقعان بين نارين... الأولى تفضي «داعش» فيهما بسبب الانكفاء والتكبير وتنشتر، والثانية المشاركة في الحرب عليها وضبطها بعض الشيء أو احتوائها.

في المحصلة... لدى الحكومات التي دعمت الارهاب في السابق لا يكفي ان تكون استراليا وبريطانيا في التحالف الدولي لمكافحة «داعش»، بل عليهما سحب الامتيازات من القميين وهم بالألاف بما يتناسب مع كونهم مشاريع ارهابية وليس قوة قابلة للاحتواء في استراليا وحصر مهامها في الداخل.

وتؤكد صحيفة «انديبنت» بصورة صحيحة العلاقة بين الغزو الاميركي للعراق ونمو التطرف والإرهاب فتقول: «إنّ ظهور التنظيم جاء نتيجة للإطاحة بنظام الرئيس العراقي السابق صدام حسين، وما تبع ذلك من زعزعة الاستقرار الدوله بالكامل»، مضيفة: «يجب أنّ نفّز بصيننا من المسؤوليّه عن ظهور داعش»، لكنها تصل إلى استنتاج خاطئ: بوجه القدرة على نقادي المعركة مع الإرهاب داخل بلاد الغرب اذا جرى تركه بأمان خارجها»، فتقول: «القوات البرية البريطانية يجب ان تشارك في الحرب ضدّ تنظيم داعش الذي يشكل تهديداً قاتلاً لكل آمال السلام»، وهذا يصبّ في محاولة تصوير الإرهاب نتيجة سنترتت بصورة أسوأ فيما لو انخرطت بريطانيا بالقتال.

ولم يقتصر الأمر على استراليا، فكانت وكالة «ويرترز» ان 4 مسلحين احتجزوا رهائن في مدينة جانت في بلجيكا... ولا شك أنّ هذه المجموعات قامت بأعمال ارهابية قبل أحداث ما سُمّي مدينة العربي الشهيرة، لا سيما ما قامت به في 11 ايلول في الولايات المتحدة، الا ان هؤلاء هم اليوم على مسافة أقرب لإنشاء دولتهم، ولذلك قد لا يكون الوقت لصالح اي من تلك الدول لمجرى انه لا يمكن اتقاء شرّ هؤلاء.

ما يجري في استراليا وما نقل عن بلجيكا يقول الشيء نفسه وهو أنّ الغرب الذي راهن على حصر المعركة على التطرف خارج بلاده بدا يتحوّل إلى ساحة اشتباك.

«توب نيوز»

## طريق سدني

يلظن الكثير من المحذّتين عن عملية ختاف الرهائن التي تشهدها سدني في استراليا إنّ الأمر من نتاج ولادة ظاهرة «داعش»، أو من تداعيات الحرب في سورية وعليها.

يلظن بعض هؤلاء أنّ الأمر يمكن تحصيله من باب التوظيف باتجاهين، اتجاه بريد القول إنّ عنف سورية الذي يحتلونه للدولة جلب التعاطف فالتطوع قائلو تحشّ، وها هو يصل إلى بلاد الغرب، واتجاه يقول ها هم الذين جلبهم الغرب لتقاتل سورية يهودون إليه... فظليخ السلم أكله.

الحقيقة التي لا يتذكرها الكثيرون أنّ بريطانيا وأستراليا مقرات دائمة لمجموعات التكفير والقتل، وهي أخطر وأكبر من تورا بورا في جبال أفغانستان، ومنذ عقود سابقة لأحداث 11 ايلول 2001، وليست سابقة فقط للزعة السورية.

تكدير قد يفيد البعض بأنّ المجموعات التي شدّت هجوم الضنية على الجيش اللبناني عام 2000 جاء أغلب عناصرها من استراليا بذريعة أعمال العيلاء ورأس السنة.

يتجاهل الكثيرون أنّ المجموعة الشهيرة بمجموعة الـ13 التي أتهمت باغتيال الرئيس رفيق الحريري وجرى بقدرة قادر طمّ ملفها قد جاءت من استراليا وعادت إليها.

أستراليا مركز للإنراهاب.

التعليق السياسي

## البناء

## لا دستور... ويُقال عنها «دولة»!

■ **شهناز صبحي فاكوش**

كيان سرطاني زرع في الحاضرة العربية، صنيعة أميركية مقابل مال داعم من صهاينة العالم الأثني بين الكائنات البشرية، لضمان استمرار القوة الشريرة الأتني في العالم، حتى أصبح محور وجودها استمرارية الكيان الصهيوني وقوته.

صُنعت له هالة خرافية، أنّ جيشه لا يُقهر، تدعمه الرسانة الأميركية كلها. تحضّلت له على اعتراف دول تتماهى معها استعماريا، ليصبح عضواً في الأمم المتحدة. رُسمت دوائى سياسية مزيفة لهذا الكيان، على أنه نموذج للديمقراطية. جعلته دولة لكنها بلا دستور.. فالتكتيت يقفّ ما يناسب الكيان ليصبح القرار ساري المفعول. في المقابل تلاتش دولة فلسطين، ولم يعد لها مكان في ذات الأمم المتحدة.. هُجر أهل الأرض الاصليون وشرّدوا، استبحت كل الحزومات، ولا تزال تنتهب والعالم أُنكم! ادارت الربيبة ظهرها لكل ما دُعِيَ بالقرارات الدولية، شرعية وأمية.. والمرئي جعل من الفتوى قوة داعمة... ولعشرات المرأت! سُجلت نكبة العرب عام 1948 في تاريخهم الحديث، تمّ جيات نكسة حزيران 1967 قاصمة الظهر العربي لتسيطر أسطورة الخرافة... لجيش لا يفقر.

يوما استجمع العرب قوتهم، خططوا واستعانوا على ما عزموا بالعثمان، انصروا وسجلوا صفحة بيضاء عام 1973 محت سواد النكسة. أعطت الأمل للشباب، أعيت الاستخبارات الأميركية والصهيونية. اصابعها ذهول لا يحمى...

من هنا بدأ تغيّر العالم، تغيّرت أساليب التخطيط ورسم الاستراتيجيات؛ أميركيا وصهيونيا. وساحات التنفيذ واسعة. تفكّك الاتحاد السوفياتي نصير العرب. أجهت أصفاء المعاهدات فعنها، نَحَّتْ مصر والأردن عن ساحة المواجهة. انخرقت لبنان في عملية تزويج، واستدرج العلاء لخياة الأمة.. حزرها الجيش السوري.

التقرير الأسبوعي لمركز الدراسات الأميركية والعربية 2

## تقرير مجلس الشيوخ حول التعذيب... تطابق أساليبه بين أميركا و«إسرائيل»

تحلل الصف الفلسطيني وتمزّقت قوته وتشتّلت، منها المقاتل الذي يدافع حقيقةً عن أرضه. ومنها من اتخذ القضية حانوتاً للتكسّب والوجاهة.. مستدرّاً عواطف ترّبي أصحابها على حبّ أرض لم يطاوها يوما. لكنها في الوجدان حيّة.

ولدت المقاومة من رحم معاناة الضغوط الأميركية الصهيونيّة على العالم، بعد نمو شعار القطب الواحد. حيث لم يعد من نصير للحق العربي.. وضياح توازن القوى. لم يعد في مواجهة كيان بنتى صهيون مغتصب فلسطين إلا سورية والمقاومة اللبنانية. لذا وفق العقليّة الاستعمارية لا بدّ من تفكيك خط الصف المقاوم.

قلعة صلبة وقوة ضاربة رافضة للهيمنة والاستغلال، تعشق الحرية وتحسني السيادة حتى الثمالة. ليس من السهل النيل منها. لا بدّ من عاصفة تأخذ الأمة برمتها. خريف عربي تصفّر فيه أوراقه، تتساقط أقطاره الواحد تلو الآخر، تنهار الأرض السورية، وتتصدع جهة التحذّي، ينهار الصمود. يتلاشى المشروع النهوضي العربي، يسود المشروع الصهيوني.

يتحقق حلم نبوءة بن غوريون. تموت القضية الفلسطينية. تسود الدولة اليهودية؛ تصعب مرجعية الشرق الأوسط. تتمدّد قوة اليهودية الصهيونية على الامبريالية الأميركية، والمستجدي إدارة أميركية إطارها الديمقراطي، والي الأرض المحتلة، أم ينسل إليها شيء من صفيح المنقطة. أسوء بيده الثغرة السوداء في ساحة حرية أرض العمّ سام، أينوق الطباخ من سمنه؟

يولمهم الميدان الذي ينتصر فيه الجيش السوري، باستعادة مواقع مهمة، يمهدّ فيها مع التسوية في المناطق المحرّرة؛ لمعارك يحزّ فيها تقدما أكثر.

ماذا عن مآلات تفكيك المشروع الصهيوني الذي يعتبر ذاتها سورية، طلب تغيير دستور حضاري في سورية شرطا للحوار، تستعين بكيان لا يحكمه دستور؟ التعليق للفتاوى...



مبتشيل، قيمته 80 مليون دولار. اقتصرحت مهمتها على بلورة برنامج متكامل لسبل التحقيق مع المشتبه بهم «للاعتراف بالتهم بالإرهاب» على أساس التعذيب «بالحرامن من النوم لفترات زمنية طويلة... والإيهام بالفراق»، وشارك الفتانتي مباشرة في إحدى جلسات استجواب المتهم «ابو زيد»، عام 2002.

تمّ الكشف عن خطورة دور ذاك الفتانّي من قبل الصحافي الشهير جيمس رايزن، في كتابه بعنوان «أف أي فنن: السجن والسلطة والحرب اللامتناهية»، والذي يواجه حكما قضائيا بسبب لعدم إضاحته عن مصادرهِ. تعرّزت الأهمية أثناء إعداد التقرير بين ايديكم إذ «فحاة» أصدرت اللقبلة قرارها ببطلان الدعوى الحكومية المرفوعة ضدّ رايزن، 12 كانون الأول، ويرجع نشر التقرير الرسمي الذي يحذد هوية الفتانّي اخصائي التعذيب كماحزّ للقرار.

في الساعات القليلة عقب صدور التقرير، أصدرت «الجمعية الأميركية لطبب النفسي»، بياناً عاجلاً تنفي فيه عضوية الفتانّي المذكور. الجمعية متطوّرة في التعامل مع الوكالة المركزية في عدة مستويات، مما حفز مجلس إدارتها على تعيين محقق خاص، الشهيد الماضي، للنظر باتهامات تولى التحقيق الجمعية مع وكالة الاستخبارات والبتناغون وتأييد «الحرب على الإرهاب»، ومراكز التعذيب المنتشرة حول العالم. أصدرت ادارة الرئيس اوباما عام 2009 قراراً بإغلاق مراكز الاعتقال والغاء برنامج التحقيق التابع للوكالة المركزية، وابقاء إنشاء «فريق استجواب المعتقلين ذو قيمة عالية»، تضمّن ممثلين عن مختلف الأجهزة الاستخباراتية والأمنية، تحت إشراف مجلس الأمن القومي. لا يزال معتقل غوانتانامو قائماً، ورفض الكونغرس تنفيذ قرار الرئيس.

نسوق ذلك للدلالة على حجم المروعة والتضييل الرسمي المتبع في المؤسسة الحاكمة.

في الماضي القريب، شكل مجلس الشيوخ الاميريكي لجنة تحقيق برئاسة السيناتور فرانك تشيرتش، عن ولاية ايداهو، عام 1975 للنظر في مسؤولية وكالة الاستخبارات المركزية عن عمليات اغتيال امير العالم، لا سيما في اميركا اللاتينية آنذاك، وتجنسب الأجهزة المصبق على المواطنين الاميركيين دون الحصول على قرار قضائي مسبق. نال تشيرتش اهماثاما إعلاميا فريداً آنذاك رفغ من اسهمه السياسية، كما هو الحال الراهن مع السيناتور دايان فايستاين. قدمت لجنة تشيرتش توصيات تقضي بتجريد الوكالة وانهاه برامج اغتيالها، والإقلاع عن التجنس داخل الولايات المتحدة. استمرّ الوضع إلى ان كشف ادوارد سنودن عن اتنهاجات وخطيرة تقوم بها وكالة الامن القومي، التي لم يعرف عدد كبير من ممثلي الكونغرس وجوهها في تلك الاتناء.

**الدور «الإسرائيلي» في برامج التعذيب الأميركية**

جاء في التقرير الرسمي ان وكالة الاستخبارات المركزية استندت الى التجريد القانوني «لاسرائيل، الذي يتيج استخدام سبل التعذيب، دلت عليه مذكرة صادرة عن فريق الأذءاع العام للوكالة تشير بوضوح الى «التنوّج الإسرائيلي... كمبرر قانوني» لممارسة التعذيب. الصحف «الإسرائيلية»، من بينها «هارتس»، أشارت باستناد الوكالة إلى قرار «المحكمة الإسرائيلية العليا»، بتعمس التعذيب واجازته في حالات محددة. النموذج «الإسرائيلي» المذكور يشير إلى جملة من التوضيحات قدمتها لجنة لاندو عام 1987 تتيح إحداها لأجهزة الشرطة والأمن «الإسرائيلية استخدام ضغوط بدنية معتدلة» ضد المعتقل. أقرت المحكمة العليا «بجواز استخدام عدد من اساليب (الاستجواب)، لكنها تستدعي تبريراً قانونياً بشكل ما».

تفاخر «إسرائيل» والتعاليم التلمودية بانها منارة مشعّة بين دول العالم، بيد ان تقنين التعذيب يقوّض مصداقية ادّعاءاتها؛ اما وكالة الاستخبارات المركزية فلم تكن بحاجة للإشارة إلى «النموذج الإسرائيلي» كونها مارست وتمارس وقد تنخرط في أساليب تعذيب متعددة، كما يشهد عليها سجلها الدومي عبر العالَم.



## أراء

## الوطن الذي أكله العفن...!

■ **د. سلوى خليل الأمين**

الوطن هو حكايات الوجود والصمود، بل هو الكيان الذي لا يتناهه المواطن مهزوماً، لأنّ الهزيمة حالة إحباط وانكسار تقضي على روح الإنسان قبل فناء جسده، لهذا تصبح تلك الروح كالريشة الطائرة في مهبّ الرياح، التي لا تدرَك أبعاد المسارات المتغيّرة والمتعاكسة، حين القهر والظلم من علامات الاستبداد المغفل بإخفاء الحق والمنقّة، التي ارتسمت في أذهان الجماهير خيالاً انطباعية مسوّرة حدّ سواء، يتذالصل النظريات الثورية الجذابة في شعاراتها المثقّة، التي ارتسمت في أذهان الجماهير خيالاً انطباعية مسوّرة بتواريخ ملتبسة تركها الزمن خلفه، حين بدأت ثورة التكنولوجيا والمدارات المتحرّكة صعدا، خصوصاً عندما تصبح مضامين العقل هي نقطة الارتكاز في مسيرة البشر، التواقين إلى الحرية المطلّعة باليسادة والفرح، وهود المسارات المركّزة إلى مشهديات الأمن والأمان.

ولبنان هو هذا الوطن ابدي لكلّ من يحمل هويته منذ ولادته على أرضه، لكنّ ما يشهده هذا الوطن من عنف في مقاماته العالية، لا يدعو إلى الانهزام فقط، بل إلى القرف من مسؤولين لم يحسنوا صوّنه ورعايته والحفاظ عليه من شرّ الدواعش المتمركزين في الداخل والخارج؛ يستهونون خرابه وانداثاره، وحجرة بنينه بل عائلاته باكملهما، إضافة إلى تطويقه بمخيمات لاجئين ضخمة أشقاء من فلسطينيين وسوريين وعراقيين، هم في الحقيقة أحرّاء مسير ومسار لكلّ العرب، وليس فقط لهذا الوطن الصغير بمساحته، الكبير بغفوان أهله وطقاتهم المشروّرة عبر البحار، توحياً لاقاء عُثرات الزمن ومراراة الموجهة.

ما يؤسّف له، أنه حين يغادر أحدنا الوطن إلى الخارج، يجد المقارنات قد ارتسمت في رأسه فوراً، بين لبنان الذي كان سويسرا الشرق والبلد المقصود، فلبنان التّمخّ زادحما السيارات وضيق الطرقات، التي لم تسعف ذاكرة اليمتدسين الذين أوّلوا لهمامهم لتوسيع طرقاته وفق حسابات خاطئة لم يلحظها مخطط الإنماء والإعمار الأعرج، الذي أغرق الوطن في الدين الخارجي المغقل بالبحاء والفقر، فهذا الوطن الغارق في أتون التلوث البيئي والفساد الغدائّي، قد صعدرت مساحاته وأنبث عجزه عن حضّم الأثباء بين أحضانها، والسبب واضح، ألا وهو عدم قدرة الجيل الجديد على تدبير شؤونّه الخاصة ماديا ومعنويا، وبالتالي فالحل الأنسب لاختيار الغربة مع ما يتبعها من إرهاب نفسي وعاطفي. لقد حدث وأنا أتجوّل في إمارة دبي وإمارة أبو ظبي، اللتين لم أزرهما منذ أكثر من عشر سنوات، أنّني فوجئت بما رأيته من أبراج تصاعح السموات السبع الطباخ، والتي تغلبت بلعواها على ناطحات السحاب في نيويورك الأميركية، وأصبحت بحق شاهدة على عصر التطوّر والإعمار في صحراء الغزلان الشاردة، بل لوحة جمالية تضمها بروعة هندستها وبنياتها أجمل للوحات العمرانية، إضافة إلى ما أضافته الرئى المسؤولة على البنى الفوقية والتحتية المتطورة بجودة وإتقان وتسهيل مرور وعيش لائق، أسعدت المواطن الذي يعتبر نفسه بحق ملكاً متوجاً في تلك الديار، التي منحته حلالة العيش ولذاتنّ الفرح والسعادة الدائمة، إضافة إلى الأمن والأمان المصونان برعاية تامّة من دولة تمتلك إدارة مسؤولة وحازمة، عرفت أنّ تعطي مواطنيها ومن يلوذ بهم، كل ما يطمحون إليه، بشرط احترام القانون وممارسة شعائره الحرة بكلّ مسؤوليّة وإبنية، لا تضرّ الوطن ولا تخربط منجز الحكاميين المنصرفين حقاً إلى البناء والإعمار.

تلك اللوحات العمرانية الجميلة التي رأيتهأ خلال رحلتي إلى دبي، بدعوة كريمة تلقيتها من مجلس المرأة العربية، بهدف تكريمي مع النساء العربيات القاديات في العالم العربي، سعيدتي، وفي الوقت ذاته جعلت الآه المؤلمة تتفاعل في داخلي، وتتحوّل إلى حالة حزن عميق مغلف بالأسئلة التي لم أجد لها جواباً، حيث لغة التخاطب أيّما حلت في اللغة الإنكليزية، علماً أنّ البلد عربي الهوية والانتماء، لهذا فمن الصعب بلّ إلى بقتنّ الإنكليزية أنّ يزور تلك البلاد، لغة العمّ سام محت لغة الضاد في كلّ المطارح؛ في الفنادق والمخازن الكبرى والصغرى وفي مختلف الأماكن التي يمكن للسائح أن يزورها، لهذا أصبحت اللغة العربية الرسمية لغة منسبة على الورد، وهذا ما حدائني أن أواجه إحداهن من سيدات الخليج الشهيرات المهمة معنا في الاحتفال، بالقول: إلا تخافون المستقبل؟ قالت لماذا؛ قلت: نحن كعرب نفتخر في كلّ بلد عربي يتطوّر ويعطي البنّيان وفي الوقت نفسه نخاف منهُ، والسبب أنّكم تسلمون أموركم الإنتاجية والإنمائيّة للعمال والكفالات الأجنبية، وتهملون الطاقات العربية من فلسطينيين وسوريين وعراقيين ولبنانيين ومصريين، وكما أعرف فدلّونكم تفرّض شروطاً صعبة على المواطن العربي للعمل هنا، بينما لا تتعاون مع ربحّ به وتسلمونه كلّ مقدّرات البلد ومسارته، إلا تتقراون التاريخ؛ ألم تدرسوا في صحائفه قصة المماليك والدولة الفاطمية؛ ثمّ لماذا على دول بلاد الشام أنّ تعاني الفقر ومحاربة «إسرائيل»، وأنّ تعيش شعوبها القلق والخذل والحاجة والحرمان؟ فيما شويعوك لا تدري ما نحن عليه في بلدنا ومنطقتنا من معاناة؛ ليس التحقيق لوقت الضيق؟ ألا عينيكم قتال بني صهيون؟ لماذا القضية الفلسطينية هي قضيتنا فقط، وشهادة الموت حكرأ على شبائنا، وشرور «إسرائيل» تنلّفها لوجدنا؟ كيف نشارك لنا في السراء والشداء؟ ألا يليق ببيروت ودمشق وبغداد والقاهرة وحتى القدس أنّ نترعم بهذا التطور العمراني الآخآة؟ أجابت: بلى، قلت كيف؟ وأتمت لا تعطون إشارة الدخول إلى بلدكم لأيّ إنسان عربي إلا بعد جهد جهيد، والعكس هو الصحيح؛ ومن ثمّ ساهمون في ضربنا بـ«داعش» ومرمّرها عبر مذمهم بالمال والسلاح والتعاطف، ومن لا يدعها ماديا وروحيتا، يتعاضد عمدا عن الدول التي تقوم بهذا الفعل الإجرامي المشين، لماذا لا تستنكرون ما يجري في سورية والعراق؟ وما يحصل في لبنان، ألا تعلمين أنّنا ليطري لم يتّم انتخاب رئيس الجمهوريّة في وطني، والسبب تضارب المصالح بين السعودية وإيران من جهة وبين أميركا وإيران من جهة ثانية بسبب المباحثات القائمة بينهما للحد من السلاح النووي في الوقت الذي نترعم في «إسرائيل» بالنووي ولا من معترض أن مستاء من حكام هذا الخليج العربي؛ قالت: أتنت ثورية، أجبتهأ: أنا أحبّ وطني من شرقه إلى غربه ومن شماله إلى جنوبه وعلى امتداد كلّ منأقذ الخليج والبحار، وفي قلبي دائماً وطني لبنان الذي هو جزء من منطقة بلاد الشام العقولية على أعرها، المبتليّة اليوم بدواعش أميركا والصهاينة، أما أنّتم فهاونون تنعمون بالأمن والأمان، حتى أطفالكم لامون وسعداء ينتشقون أسباب الرفاهية كلها، في الوقت الذي تدبّح في «داعش» الأطفال في سورية وتصلبم على أغصان الشجر، وتلعن العار الفتيات دون ذنب لمجرد أنّهم لا يؤمّنون بمنطق «داعش» التكفيري، وتتسبب التفجيرات القاتلة أرض العراق ويُهجر مسجيحيها والأزيديين من أبناء شعبها، وفي لبنان يُدبّع جنود الجيش الأسرى واحدا تلو الآخر من قبل مجرمي «داعش» وال«نصرة» الذين يحتلون جردو بلدة عرسال البقاعية. ترى أين أنّتم والعالم كله من شرعة حقوق الإنسان التي تراعها وتصونها منظمة الأمم المتحدة؟ ألم يقلّ المعتل: أنا وأخي على ابن عمي وأنا وابن عمي على الغريب؟ تعالوا نتعاون على مقاومة «إسرائيل» كي يتّم طردهما من أرض فلسطين، ساعمتننّ نترعم جميعنا بالامان؛ تعجّبتي من كلامي قائلة: أنت تتكلمين بلغة شعرية عاطفية تتخّطى الواقع...

أجبتهأ أنا كاتبة مقال سياسي منذ العام 2003، وتدرّبت على النضال القومي منذ التاسعة من العمر، ولتاريخه لم تغيّرني الأيام ولا حتى تبدّل المسارات، والسبب إيماني بالوطن الذي لا يمكن أنّ يُحكّم سوى بالعدل، الذي هو منحة ربّانية ميّزّ بها الخالق الإنسان، لهذا عليكم استعماله بالحد من المستقبل الذي قد يكون ضدّكم، لانكم لتاريخه لا تتعمون بحسن استعمال الثروة النفطية كسلاح فتال، باستطاعته إخضاع أعداء الأمة. الذين يقتلوننا بهواؤنيهم وقنابلهم الذكية وطائراتهم الفانتومية، وهذا الفعل يلزمه جرأة القائد الوطني الفعّال، المتمكّن والقادر على استيعاب التاريخ وأمّولاته العابرة لكلّ القوي، والشواهد كثيرة.

انتهى الحديث بلقة عنق لا مبالية، تضحك في سرّها من هذه الإنسانيّة التي ما زالت تؤمن بزوال «إسرائيل»، والآتية من وطن غائص عن سفن المسارات والأغذية الفاسدة.